البلاغة العربية للمُبتدِئين

جمعت مادة هذا الكتاب من كتابَيْ:

١- **قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية**، لمُؤلِّفيه: حفني ناصف، ومحمد دياب، وسلطان محمد، ومصطفى طموم، ط٢، مصر: المطبعة الأميرية، ١٣٢٧/١٩٠٩، قسم «البلاغة»: ص١٠٩-١٤٣.

٢- **البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع للمدارس الثانوية**، لمؤلّفيْه: علي الجارم، ومصطفى أمين، إستانبول: دار قهرمان، ١٩٨٤.

إعداد

الدكتور موسى علق

مدرس اللغة العربية وبلاغتها

في كلية الإلهيات بجامعة إستانبول

إستانبول ٢٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في الفصاحة والبلاغة

الْفَصَاحَةُ

«**الفصاحةُ**» **في اللغة** تُنْبِئُ عن البيانِ والظهورِ، يقال: «أَفْصَحَ الصَّبِيُّ فِي مَنْطِقِهِ» إذا بَانَ وظَهَرَ كلامُه، ويقال: «أَفْصَحَ الصُّبْحُ» إذا ظهر ضَوْؤُه.

وتَقَعُ **في الاصطلاح** وصفًا لِـ: أ- «الكلمةِ»، ب- و«الكلامِ»، ج- و«الْمُتكلِّمِ»:

أ- فصاحة الكلمة

فـ«**فصاحةُ الكلمة**»: سلامتُها من: ١- «تَنَافُرِ الْحُروف»، ٢- و«مُخالَفةِ القياس»، ٣- و«الْغَرَابَةِ»:

١- فـ«**تنافرُ الْحُروف**»: وصفٌ في الكلمة يُوجِب ثِقَلَها على اللِّسان وعُسْرَ النُّطق بِها.

ولا ضابطَ لمعرفة الثِّقَل والصعوبة سوى «الذَّوْقِ السَّلِيمِ» المُكتسَبِ بالنظرِ في كلام البلغاء وممارسةِ أساليبهم.

نحو: «الظَّشِّ» للموضع الْخَشِن، و«الْهُعْخُعِ» لنباتٍ تَرْعَاه الإبلُ، و«النُّقَاخِ» للماءِ العَذْبِ الصّافي، و«الْمُسْتَشْزِرِ»[1] للمُرتفِع، و«الْبُعَاقِ» للسَّحابة المُمطِرة.

---

[1] انظر لبيت **امرئ القيس**: محمد ذهني، **القول الجيد في شرح أبيات التلخيص وشرحيْه وحاشية السيد**، ص٢٨-٣٠، رقم الشاهد: ٢٢.

٢- و«**مُخالَفةُ القياس**»: كونُ الكلمةِ غيرَ جاريةٍ على القانون الصَّرْفِيّ.

كجمع «بُوقٍ» على «بُوقَاتٍ» في قول **أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي**:

فَإِنْ يَكُ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ ... فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ

إذ القياسُ في جمعه للقِلَّة: «أَبْوَاقٌ».

وكـ«مَوْدَدَةٍ» في قولِ **الْمُتَنَبِّي**:

إِنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَهْ ... مَا لِيَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدَدَهْ

والقياسُ: «مَوَدَّةٌ» بالإدغام.

٣- و«**الْغَرَابَةُ**»: كونُ الكلمةِ وحشيّةً غيرَ ظاهرةِ المعنى ولا مأنوسةِ الاستعمال.

نحو: «تَكَأْكَأَ» بِمعنى اجْتَمَعَ، و«افْرَنْقَعَ» بِمعنى انْصَرَفَ، و«اطْلَخَمَّ» بِمعنى اشْتَدَّ.

ب- فصاحة الكلام

و«**فصاحةُ الكلام**»: سلامتُه من: ١- «تَنَافُرِ الكلماتِ مُجتمِعةً»، ٢- ومن «ضَعْفِ التّأليف»، ٣- ومن «التعقيدِ»، مع فصاحةِ كلماته.

١- **فـ«تنافرُ الكلمات**»: وصفٌ في الكلام يوجِب ثِقَلَهُ على اللسان وعُسْرَ النُّطق به.

نحوُ قولِ **مجهولٍ في حرب بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبد شمس**:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ ... وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ[1]

قيل: «إنّ هذا البيت لا يتهيّأ لأحدٍ أنْ يُنشِده ثلاث مرّات متواليات دون أن يَتَتَعْتَعَ»، لأنّ اجتماعَ كلماتِه وقُرْبَ مخارجِ حروفِها يُحدِثان ثِقلا ظاهرا، مع أنّ كل كلمة لو أُخذت وحدها كانت غيرَ مستكرَهةٍ ولا ثقيلةٍ.

ونحو قولِ **أبي تَمَّام حَبِيبِ بن أَوْسٍ الطائيّ** في مدحِ **أبي الغيث موسى بن إبراهيم الرّافعيّ**:

---

[1] البيت من الرجز، ولا يعرف قائله، ولعله مصنوع. انظر: **البلاغة الواضحة**، ص٦؛ **القول الجيد**، ص٤٠-٤١، رقم الشاهد: ٣٠.

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالْوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي[1]

٢- و«**ضعفُ التأليفِ**»: كونُ الكلام غيرَ جارٍ على القانون النَّحْوِيّ المشهورِ بين الجمهور[2].

كـ«الإضمارِ قبلَ الذِّكر لفظًا ورُتْبَةً» في قولِ سيدِنا **حَسَّانَ بنِ ثابتٍ** رضي الله عنه في مدح **مُطْعِمِ بن عَدِيٍّ**:

وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمَا[3]

فإنَّ الضمير في «مَجْدُه» راجع إلى «مُطْعِما» وهو متأخّرٌ في اللفظ كما ترى، وفي الرتبة لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح.

وفي قولِ **سَلِيط بن سعد**:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانِ عَنْ كِبَرٍ وَحُسْنِ فِعْلٍ كَمَا يُجْزَى سِنِمَّارُ[4]

٣- و«**التَّعْقِيدُ**»: أنْ يكونَ الكلامُ خَفِيَّ الدّلالةِ على المعنى المرادِ.

والخفاءُ:

أ- إمّا من جهةِ اللَّفظِ بسبب تقديمٍ أو تأخيرٍ أو فصلٍ، ويُسمَّى: «**تعقيداً لفظيًّا**».

كقولك: «ما قرأ إلا واحدًا محمدٌ مع كتابًا أخيه»، إذ أصله: «ما قرأ محمد مع أخيه إلا كتابا واحدا»، فقُدِّمت الصِّفَةُ على الموصوفِ، وفُصِل بين المُتلازميْن، وهما: أداةُ الاستثناء والمستثنى، والمضافُ والمضاف إليه.

وكقولِ **المتنبي** في مدح **القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاقي**:

---

[1] انظر: **القول الجيد**، ص٤١-٤٣، رقم الشاهد: ٣١.

[2] فضعفُ التأليف يَنْشَأُ من العُدول عن الْمشهور إلى قولٍ له صحةٌ عند بعض أُولِي النظرِ، فإنْ خَالَفَ تأليفُ الكلامِ القانونَ الْمُجْمَعَ عليه -كجرّ الفاعل، ورفعِ الْمفعول، وتقديمِ الْمُسنَدِ الْمحصورِ فيه بـ«إِنَّمَا»- ففاسدٌ غيرُ مُعْتَبَرٍ، والكلامُ في تركيبٍ له صِحَّةٌ واعتبارٌ.

[3] هو: **مُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ** أحدُ رؤساء المشركين، وكان يَذُبُّ عن النبي صلى الله عليه وسلم. ومعنى البيت: «أنه لو كان مجدُ الإنسان أو شرفُه سببًا لطُولِ حياته وخلودِه في هذه الدنيا، لَكان **مطعم بن عدى** أولى الناس بالخلود، لأَنه حاز من المجد والسُّؤْدُدِ ما لم يَحُزْه غيرُه». انظر: **البلاغة الواضحة**، ص٦.

[4] انظر: **القول الجيد**، ص٣٨-٣٩، رقم الشاهد: ٢٨.

جَفَخَتْ -وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا- بِهِمْ شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغَرِّ دَلَائِلُ

فإنّ تقديرَه: «جفخت بِهم شيمٌ دلائلُ على الْحَسَبِ الأغرِّ وهم لا يجفخون بِها».

ب- وإمّا من جهة المعنى بسببِ استعمالِ مَجازاتٍ وكناياتٍ لا يُفهَم المرادُ بِها، ويُسمَّى: «**تعقيداً معنويّاً**».

نحو قولِك: «نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسِنَتَه في المدينة» مُريداً جَواسيسَه، والصواب: «نَشَرَ عُيُونَه».

وقولِ **عبّاس بن أحنف**:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا[1]

حيثُ كَنَى بـ«الْجُمود» عن «السُّرور»، مع أنّ «الْجُمُودَ» يُكْنَى به عن «الْبُخْلِ بالدُّموع وقتَ البُكاء».

ج- فصاحة المُتكلِّم

و«**فصاحةُ الْمتكلّم**»: مَلَكَةٌ يُقتدَر بِها على التعبير عن الْمقصود بكلامٍ فصيحٍ في أيّ غرضٍ كان.

الْبَلَاغَةُ

و«البلاغةُ» **في اللغة**: الوصولُ والانتهاءُ، يقال: «بَلَغَ فُلاَنٌ مُرَادَهُ» إذا وصل إليه، و«بَلَغَ الرَّكْبُ الْمَدِينَةَ» إذا انتهى إليها.

وتقع **في الاصطلاح** وصفاً لـ: أ- «الكلامِ»، ب- و«الْمُتكلِّمِ»:

أ- بلاغة الكلام

فـ«**بلاغةُ الكلام**»: مطابقتُه لِمُقْتَضَى الْحَالِ مع فصاحتِه.

[1] انظر: **القول الجيد**، ص٤٨-٥١، رقم الشاهد: ٣٣.

و«**الْحَالُ**» -ويُسمَّى «الْمَقَامَ»-: هو الأمرُ الْحَامِل للمُتكلِّم على أنْ يُورِدَ عبارتَه على صورةٍ مَخصوصةٍ.

و«**الْمُقْتَضَى**» -ويُسمَّى «الْاِعْتِبَارَ الْمُنَاسِبَ»-: هو الصورةُ الْمَخصوصةُ التي تُورَدُ عليها العبارةُ.

مثلا: «**اَلْمَدْحُ**» حالٌ يَدْعُو لإيرادِ العبارة على صورةِ «**الإطنابِ**»؛ و«**ذَكَاءُ الْمُخَاطَبِ**» حالٌ يدعو لإيرادِها على صورة «**الإيجاز**».

فكلٌّ من «المدح» و«الذكاء» حالٌ؛ وكلٌّ من «الإطناب» و«الإيجاز» مُقتضًى؛ وإيرادُ الكلام على صورةِ الإطنابِ أو الإيجازِ «مُطَابَقةٌ لْلْمُقتضَى».

ب- بلاغةُ الْمُتَكَلِّم

و«**بلاغةُ الْمُتكلِّم**»: مَلَكَةٌ يُقتدَر بِها على التعبير عن الْمقصود بكلامٍ بليغٍ في أيِّ غَرَضٍ كان.

سَبِيلُ الْحُصولِ على الفصاحةِ والبلاغةِ

ويُعرَف:

التّنافرُ بِـ«الذَّوْقِ»،

و**مخالفةُ القياس** بِـ«عِلْمِ الصَّرْفِ»،

و**ضعفُ التأليفِ** و**التعقيدُ اللفظيُّ** بِـ«علمِ النَّحْوِ»،

و**الغرابةُ** بِـ«كثرةِ الاِطِّلاع على كلام العرب»،

و**التعقيدُ الْمَعنويُّ** بِـ«علمِ الْبَيَانِ»،

و**الأحوالُ** و**مُقتضَيَاتُها** بِـ«علمِ الْمَعَانِي».

فوجب على طالبِ البلاغةِ معرفةُ:

١- اللغةِ، ٢- والصرفِ، ٣- والنحوِ، ٤- والمعانِي، ٥- والبيانِ، مع كونِه: ٦- سليمَ الذوقِ، ٧- كثيرَ الاِطِّلاعِ على كلامِ العربِ.

علم المَعاني

هو: علمٌ يُعرَف به أحوالُ اللفظ العربي التي بِها يُطابِق مُقتضَى الحال.

فتَختلِف «صُوَرُ الكلام» لاختلافِ «الأحوال»:

مثالُ ذلك قولُه تعالى حكايةً عن نَفَرٍ من الْجِنّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [سورة الجنّ: ٧٢/١٠]، فإنَّ ما قبل «أَمْ» صورةٌ من الكلام تُخالِف صورةَ ما بعدها، لأنَّ الأُولى فيها فعلُ «الإرادة» مَبْنِيٌّ لِلْمَجهولِ، والثانيةَ فيها فعلُ «الإرادة» مبني للمعلوم. والحالُ الدَّاعِي لذلك: نسبةُ الْخير إليه سبحانه وتعالى في الثانية، ومَنْعُ نسبة الشرِّ إليه في الأولى.

ويَنحصِر الكلامُ هنا على هذا العلم في ستة أبواب:

الباب الأول: الخبر والإنشاء

الباب الثاني: الذكر والحذف

الباب الثالث: التقديم والتأخير

الباب الرابع: القصر

الباب الخامس: الوصل والفصل

الباب السادس: الإيجاز والإطناب والمساواة.

الباب الأول: الخبر والإنشاء

تقسيم الكلام إلى «خَبَرٍ» و«إِنْشَاءٍ»

كلُّ كلامٍ فهو: أ- إمّا خَبَرٌ، ب- أو إِنْشَاءٌ.

أ- فـ«الْخَبَرُ»: ما يَصِحُّ أنْ يُقال لقائله: «إنّه صادقٌ فيه» أو «... كاذبٌ ...».

كـ«سَافَرَ مُحَمَّدٌ»، و«عَلِيٌّ مُقِيمٌ».

والمراد بـ«**صِدْقِ الخبر**»: مُطابَقتُه للواقع؛ وبـ«**كِذْبِه**»: عَدَمُ مُطابَقتِه له، فجملةُ «عَلِيٌّ مُقِيمٌ»: إنْ كانت النسبةُ المفهومةُ منها مُطابِقةً لما في الخارجِ فصِدْقٌ، وإلَّا فكِذْبٌ.

قال **أبو إسحاق الْغَزِّيُّ**:

لَوْلَا أَبُو الطَّيِّبِ الْكِنْدِيُّ مَا امْتَلَأَتْ مَسَامِعُ النَّاسِ مِنْ مَدْحِ ابْنِ حَمْدَانَ[1]

وقال **أبو الطيّب**:

لَا أَشْرَئِبُّ إِلَى مَا لَمْ يَفُتْ طَمَعًا وَلَا أَبِيتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانَا[2]

وقال **أبو الْعَتَاهِيَّةِ**:

إِنَّ الْبَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غِنًى لَتُرَى عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْفَقْرِ[3]

ب- و«الْإِنْشَاءُ»: ما لا يَصِحُّ أنْ يُقال لقائلِه: «إنّه صادقٌ فيه» أو «... كاذبٌ ...».

كـ«سَافِرْ يا محمّدُ»، و«أَقِمْ يا عليُّ».

قال **بعض الحكماء** لابنِه: «يا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الاستماعِ كما تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الحديثِ».

---

[1] انظر: **البلاغة الواضحة**، ص١٣٧.

[2] «اِشْرَأَبَّ إلى الشيء»: تَطَلَّعَ إليه. انظر: **البلاغة الواضحة**، ص١٣٧.

[3] «أفاد غنى»: استفاده، و«المَخايل»: العلامات، يقول: «إن البخيل تَظهر عليه أماراتُ الفقر وعلاماته وإن كان غنيا كثير المال». انظر: **البلاغة الواضحة**، ص١٣٧.

وأَوْصَى **عبدُ الله بنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما رجلا، فقال: «لا تَتَكَلَّمْ بما لا يَعْنِيك، ودَعِ الكلامَ في كثيرٍ ممَّا يَعْنِيك حتى تَجِدَ له مَوْضِعًا».

وقال **أبو الطيّب**:

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ رُوحَكَ الْبَدَنُ[1]

أركان الجملة

ولكُلِّ جُمْلَةٍ من جُمَلِ الخبرِ والإنشاءِ رُكْنَانِ: أ- «**مَحْكُومٌ عَلَيْهِ**»، ب- و«**مَحْكُومٌ بِهِ**».

أ- ويسمى الأول: «**مُسْنَدًا إِلَيْهِ**»:

وهو: ١- الفاعلُ، ٢- ونائبُه، ٣- والمبتدأُ الذي له خبر، ٤- وما أصلُه المبتدأُ كـ«اسمِ "كَانَ" وأخواتِها».

ب- ويسمى الثاني: «**مُسْنَدًا**»:

وهو: ١- الفعلُ التامُّ، ٢- والمبتدأُ المُكْتَفِي بمرفوعِه، ٣- وخبرُ المبتدأِ، ٤- وما أصلُه خبرُ المبتدأِ كـ«خبرِ "كان" وأخواتِها»، ٥- واسمُ الفعلِ، ٦- والمصدرُ النَّائِبُ عن فعلِ الأمر.

ج- وما زاد على ذلك غيرَ «المُضافِ إليه» و«الصِّلَةِ» فهو: «**قَيْدٌ**».

والقُيُودُ هي: ١- أَدَوَاتُ الشرطِ والنَّفْيِ، ٢- والْمَفَاعِيلُ، ٣- والحالُ، ٤- والتمييزُ، ٥- والتَّوابعُ، ٦- والنَّواسخُ.

---

[1] «اِكْتَرَثَ بالأمر»: بَالَى به. يقول: «لا تُبالِ الزمانَ وصُروفَه ما دُمْتَ حَيًّا، فإنّ الشِّدَّةَ والرَّخَاءَ يتعاقَبان فيه على الحَيّ، فلا يَأْسَ مع الحياة». انظر: **البلاغة الواضحة**، ص١٣٨.

الكلام على الخبر

الخبر: أ- إمّا أن يكون «**جُمْلَةً فِعْلِيَّةً**»، ب- أو «**جُمْلَةً اِسْمِيَّةً**».

أ- فـ«**الجملة الفعلية**»: موضوعةٌ لإفادة الحدوث في زمنٍ مَخصوصٍ مع الاختصار.

فإذا قُلْتَ: «أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ» لم يَستفِد السامعُ من ذلك إلَّا «حدوثَ الإمطارِ في الزمن الماضي».

وقد تُفِيدُ «الاستمرارَ التَّجَدُّدِيَّ» بالقرائن إذا كان الفعل مضارعًا.

قال **المتنبي**:

تُدَبِّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفُّهُ وَلَيْسَ لَهَا يَوْمًا عَنِ الْمَجْدِ شَاغِلُ[1]

فإن المدحَ قرينةٌ دَالَّة على «أنَّ التدبيرَ أمرٌ مُستمِرّ مُتجدِّدٌ آنًا فآنًا».

وقال **طَرِيفٌ**:

أَوَكُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ[2]

ب- و«**الجملة الاسمية**»: موضوعةٌ لِمُجرَّدِ ثبوتِ «الْمُسْنَدِ» لـ«الْمُسْنَدِ إليه».

فإذا قلتَ: «الشمسُ مُضِيئة» لم يَفْهَمِ السامعُ من ذلك سوى «ثبوتِ "الإضاءة" لـ"الشمس"» من غيرِ نظرٍ إلى حدوثٍ أو استمرارٍ.

وقد تفيد «الاستمرارَ» بالقرائنِ إذا لم يكن خبرُها جملةً فعليةً، نحو: «العلم نافع».

أما إذا كان خبرُها جملةً فعليةً فإنّها تُفِيدُ «التَّجَدُّدَ».

الْغَرَضان الأصليّان من إلقاء الخبر

والأصل في الخبر أن يُلْقَى لأحدِ غَرَضَيْنِ:

---

[1] انظر: **البلاغة الواضحة**، ص١٣٩.

[2] انظر: **القول الجيد**، ص١٩٥-١٩٧، رقم الشاهد: ١٣٦.